

إحياء نظام الوقف
ضرورة شرعية وحاجة إنسانية :
كيف ؟
منهج مقترح

إعداد
دكتور / حسين حسين شحاتة
الأستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر
خبير استشارى فى المعاملات الشرعية

إحياء نظام الوقف ضرورة شرعية وحاجة إنسانية كيف ؟

منهج مقترح

إعداد

دكتور / حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

✽ إحياء نظام الوقف ضرورة لحفظ حاجات الإنسان الضرورية (حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ العِرض وحفظ المال)

يعتبر نظام الوقف من السمات المميزة للمجتمع الإسلامى الحضارى فى بناء المجتمع المتضامن الذى يقوم على نظام التكافل الاجتماعى بين القادرين من أهل الخير والعطاء وبين الفقراء من ذوى الحاجات ، وهو نموذج عملى من نماذج التعاون على البر والتقوى الذى أمرنا الله به فى القرآن الكريم بقوله : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [المائدة : ٢]

ولقد وصف رسول الله ﷺ الأمة الإسلامية بأنها متعاونة فى كل الأحوال ، فقال : ﷺ **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** [البخارى]

ولقد ساهم نظام الوقف فى حفظ الحاجات الأصلية للإنسان (الضروريات الخمس) وهى حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، ومن تطبيقاته العملية لذلك ما يلى :

- . المساهمة فى تأمين المياه للناس من خلال إنشاء آبار ومحطات المياه لحفظ النفس .
- . المساهمة فى تأمين المسكن المناسب من خلال تأجير العقارات الموقوفة لحفظ النفس .
- . المساهمة فى تأمين الطعام للفقراء والمساكين ومن فى حكمهم لحفظ النفس .
- . المساهمة فى إنشاء دور العلم مثل كتاتيب تحفيظ القرآن والمدارس والمعاهد الدينية لحفظ العقل .

- . المساهمة فى بناء المساجد ودور العبادة وتيسير الحج وتقديم الخدمات للحجاج لحفظ الدين .
- . المساهمة فى تيسير الزواج للشباب والفتيات الفقيرات لحفظ العرض .
- . المساهم فى تحرير الأسرى والمعتقلين فى سبيل الله لحفظ حرية النفس .
- . المساهم فى بناء مؤسسات العلاج الخيرية لعلاج الفقراء والمساكين لحفظ النفس .
- . تقديم العون للمرضى والأيتام والعجزة وكبار السن وتوفير حاجاتهم الأصلية من مأكّل ومسكن وعلاج وتعليم (حفظ المقاصد الخمس) .
- . المساهمة فى تشييد قبور الصدقة ليذفن فيها الغرباء والفقراء لتكريم الموتى .
- . المساهمة فى حماية البيئة من التلوث (حفظ النفس) .
- . حفظ أموال الأغنياء من الإسراف والتبذير وتوجيهها لما ينفعهم بعد الموت .

ما سبق نماذج حضارية تبين كيف ساهم الوقف الخيرى مساهمة فعلية فى تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع الإسلامى وحفظ الحاجات الأصلية للإنسان سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، وهذا هو الواجب أن يكون ، ولكن الواقع المعاصر شئ آخر حيث تقلص دور الوقف لدرجة انه لا يكاد يُذكر فى بعض البلاد الإسلاميه ، وهذا يثير التساؤل الآتى : **لماذا يخاف أصحاب الأموال من الأغنياء الصالحين وقف أموالهم ؟**

❖ أسباب إجمام الأغنياء عن وقف أموالهم

- بدراسة الواقع العملى تبين أن هذا يرجع إلى الآتى :
- صدور قوانين فى بعض الدول الإسلاميه بمصادرة الأموال الوقفية وتحويلها إلى خزينة الدولة بدون أى مبرر معتبر عقلاً أو شرعاً .
 - تدخل بعض الحكومات فى تغيير حجة الواقف لتتنفق مع بعض المآرب الخاصة بدون مبرر معتبر شرعاً .
 - انتشار الفساد الأخلاقى والمالى والاجتماعى فى بعض الجهات القائمة على إدارة شئون الأوقاف الإدارية والمالية بسبب عدم الالتزام بالقيم الإيمانية وبالمثل الأخلاقية وبالآداب السلوكية السوية وبالفقه الإسلامى .
 - التدخل من قبل بعض الجهات الأجنبية مثل الصهيونية العالمية الطاغية لمحاربة كل مشروع إسلامى تحت دعاوى محاربة الإرهاب ، وما تقوم به أمريكا وإنجلترا ليس منا ببعيد .

- استشعار العديد من الناس بأن أى عمل تتدخل فيه الحكومة وتسيطر عليه أو تديره مآله إلى الفشل والخلل لعدم الثقة بها .
- ضعف الوعي الدينى لدى العديد من أصحاب الأموال من الأغنياء بسبب الغزو الثقافى المناهض للنظم الإسلامية ولا سيما بعد انتشار العولمة .
- عدم الاهتمام بالثقافة الوقفية فى دور العلم المختلفة ، واصبح الوقف شيئاً مجهولاً عند العديد من الناس بسبب انتشار الفكر العلمانى المادى .

هذه الأسباب وغيرها أبرزت دواعى الحاجة إلى إحياء نظام الوقف من جديد .

❖ دواعى الحاجة إلى إحياء نظام الوقف فى حياتنا المعاصرة

لقد قَصَّرتْ الحكومات المعاصرة لسبب أو لآخر فى تأمين الحاجات الأصلية للإنسان بالمستوى الذى يحقق له عزته وكرامته ، وأصبحت الهوة بين الفقراء والمساكين ومن فى حكمهم وبين الأغنياء شاسعة ، وصدق رسول الله ﷺ عندما يقول ﷺ ... **إنما يشقى الفقراء بصنيع الأغنياء** ﷺ ومن مظاهر ذلك الشقاء والحياة الضنك التى يعيشها الفقراء وبسبب غياب نظام الوقف ما يلى :

. السكن غير الشرعى بسبب الفقر حيث تسكن أسرة من أب وأم وذكور وإناث معاً فى كوخ صغير ... وبعضهم يسكن القبور أو على ضفاف الترغ والقنوات ... بعد أن كان نظام الوقف يكفل لهم المسكن المناسب .

. ارتفاع نسبة العنوسة بسبب عدم وجود إمكانيات النكاح ... وهذا بدوره أدى إلى انتشار الفاحشة ... وكان للوقف دوراً هاماً فى مساعدة راغبي الزواج من الفقراء .

. ارتفاع نسبة الوفيات بين مرضى الفقراء والمساكين حيث لا يجدون المكان المناسب للعلاج ... وكان هناك وفيات فى صورة مستشفيات ومَصَحَاتْ لمثل هؤلاء المرضى .

. تقليص نظام التعليم الدينى من خلال الكتاتيب والمعاهد الدينية بسبب عدم توافر التمويل اللازم من الدولة وإحجام معظم الناس عن إنشائها وتمويلها ، وكان الأغنياء من الصالحين يقومون بوقف أموالهم على دور العلم الدينية مثل الكتاتيب والمعاهد والجامعات الدينية مثل الأزهر .

. انتشار الأمية الدينية وفساد العقيدة عند معظم الناس بسبب عدم الاهتمام بالمساجد وبال دعوة الإسلامية
وبالإعلام الإسلامى وكان للوقف دوراً فى مجال الدعوة الإسلامية فى أنحاء العالم.
. انتشار البطالة بين الفقراء بسبب عدم وجود المشروعات الاقتصادية التى تساهم فى تشغيل الشباب ،
وكان للوقف دوراً بارزاً فى ذلك .
. تأخر سن الزواج بسبب عدم وجود مصدر الكسب الشريف والمأوى المناسب ، وكان للمؤسسات الوقفية
دوراً هاماً فى علاج مشكلة البطالة .
. تعرض الأقليات الإسلامية للاضطهاد والظلم من قبل أعداء الإسلام ... كما اعتدى على الإسلام
وانتهكت حرمت المسلمين ، وتحويل معظمهم إلى لاجئين ، وكان هناك أوقافاً للجهاد .

وإزاء ما سبق فهناك ضرورة شرعية وحاجة إنسانية ليعود نظام الوقف الخيرى من جديد ليساهم فى
توفير الحاجات الأصلية للإنسان الفقير ، ويحىي نظام التكافل الاجتماعى عملياً وليس خطابياً ويقدم
للإنسانية نموذجاً متميزاً للحضارة الإسلامية فى بناء المجتمع المتكافل .

ويثار التساؤل : **ما هو السبيل لإحياء نظام الوقف من جديد ؟**

❖ وسائل وسبل مقترحة لإحياء دور الوقف فى حياتنا المعاصرة

كان من مقومات نجاح نظام الوقف فى صدر الدولة الإسلامية وجود الحاكم العادل المسئول عن
تطبيق شرع الله ، وحماية حقوق الفقراء والأغنياء وتقوية روابط الحب والأخوة بين الناس جميعاً ، ووجود
الصالحين الأغنياء الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان والتقوى والذين يرجون لقاء الله بالأعمال الصالحة ينفقون
أموالهم ابتغاء وجه الله من أجل تحقيق الحياة الكريمة لإخوانهم الفقراء ، وإقامة المجتمع المتكافل ... فلما
اختلفت هذه المقومات وضعفت ، وقامت بعض الحكومات بالاعتداء على أموال الواقفين ، وغيرت من
حجج أوقافهم ضعفت الثقة فى الحكومات وخاف الناس من وقف أموالهم ويضاف إلى ذلك انتشار الفساد
الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، كل هذا أدى إلى خفوت نظام الوقف .

وتأسيساً على ما سبق ... ولأجل إحياء نظام الوقف من جديد يُقترح ما يلى :

أولاً: أن تصدر الحكومات من القوانين والمراسيم والقرارات لحماية أموال الواقفين وعدم المساس بها
واحترام حجة الواقفين ما دامت لا تخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، أسوة بالقوانين

التي تحمى رأس مال المستثمر الأجنبي وعدم المساس به ظناً بأنه يساهم فى التنمية الاقتصادية ، والأولى حماية أموال الوقف لأنها تساهم فى تأمين حاجات الإنسان الضرورية .

ثانياً : استصدار ميثاق أو قانون للوقف يواكب التطورات المعاصرة ولا يخرج عن أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية لإدارة أموال الوقف وفقاً لمقاصد الإسلام وطبقاً لسياسات استراتيجية وخطط موضوعية وبرامج سليمة حتى يحقق مقاصده السامية ، وسوف يساهم هذا الميثاق فى الآتى :

- تسهيل إجراءات الوقف .
- الإدارة الذاتية أو الشعبية للوقف وتحت الإشراف الحكومى .
- تسهيل إجراءات الاستبدال والإبدال .
- المرونة فى استثمار أموال الوقف وفقاً للضوابط الشرعية .

ثالثاً : وجود تعاون بين الواقفين ونُظَّار الوقف والحكومة بما يضمن حماية شروط الواقف وعدم تغييرها إلا لضرورة معتبرة شرعاً ، وتحديد مهام الناظر والرقابة عليه لضمان أن يقوم بعمله على الوجه الأفضل ، ووضع نظام المتابعة والمراقبة وتقويم الأداء من الأجهزة الحكومية المعنية بذلك .

رابعاً : تنمية الوعى الدينى لدى المسلمين الأغنياء وبيان المنافع الأخروية التى تعود عليهم بعد موتهم باعتبار الوقف من نماذج الصدقة الجارية التى تنفع المسلم بعد موته ، وهذا يتطلب وجود خطة إعلامية يتولى تنفيذها المؤسسات الدعوية الحكومية والخاصة وباستخدام وسائل وأساليب الإعلام المعاصرة ، والاستفادة من رموز رجال الدعوة الإسلامية الثقات فى هذا المجال .

خامساً : التوسع فى صيغ الوقف بحيث يشمل وقف الأموال النقدية والاستثمارات المالية أخذاً بالرأى الفقهى الذى يجيز ذلك ، كما يمكن الأخذ بنظام الوقف الموقوت لمدة معينة وهذا يناسب شريحة كبيرة من أصحاب الأموال الذين يريدون وقف بعض أموالهم لفترات زمنية محددة .

سادساً: تطوير سبل وأساليب استثمار الوقف بما يتفق مع التطورات المعاصرة ولا ينحصر الأمر على الاستثمار العقاري أو تقديم الخدمات فقط ، ويمكن الاستفادة من صيغ الاستثمار الإسلامية المعاصرة وكذلك من تجارب المؤسسات المالية الإسلامية الناجحة .

سابعاً: إنشاء المجلس الأعلى العالمى للوقف الخيري ليتولى مسئولياته المختلفة وفقاً لميثاق معتمد ، وكف تدخل الحكومات فى شئونه ... إلاّ بالدعم المعنوى ليساهم بدوره فى تحقيق التنسيق والتكامل بين المؤسسات الوقفية العالمية ويكون على مستوى رابطة العالم الإسلامى أو منظمة المؤتمر الإسلامى أو أن يتبع أحدهما فى الأمد القصير .

ثامناً: الاهتمام الأوفى بأعمال المتابعة والرقابة وتقويم إدارة أموال الوقف من قبل الأجهزة الفنية المتخصصة بهدف المحافظة عليها وتميئتها فى ضوء مقصود الواقف التى تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية ، والتأكيد على حرمة أموال الوقف ولا يجوز الاعتداء عليها .

تاسعاً: التصدى للهجمات الشرسة من الصهيونية الأمريكية الظالمة التى تحارب كل عمل فيه خير للإنسانية وتدعى ظلماً بأنه إرهاب أو انه يمول الإرهاب ودحض هذه الافتراءات ، لأنه بدون التصدى لهذه الصهيونية الباغية الظالمة فإنها سوف تتماذى وتتماذى حتى تقفل دور العبادة وتعطل فرائض الإسلام تحت دعوى محاربة الإرهاب .

عاشراً: تشجيع الوحدات الاقتصادية بوقف جزءاً من أموالها لأغراض الرعاية الاجتماعية باعتبار ذلك من صميم مسئولياتها الاجتماعية وإعفاؤها من الضرائب بمقدار هذا القدر مهما كان مقداره.

إن تطبيق هذه الوصايا العشر سوف يساهم فى إحياء الوقف من جديد إن وجد الحاكم العادل والغنى الصالح التقى الذى يريد أن يعمل لما بعد الموت ، ووُجد المجتمع المسلم الذى يطبق شرع الله عز وجل

✽ برنامج العمل التنفيذي لإحياء نظام الوقف

لقد نظمت العديد من الندوات والمؤتمرات والملتقيات ، وألقيت ملايين المحاضرات والخطب المنبرية ... والفت الكتب وأعدت البحوث والدراسات ... وهذا ضرورى ولكن يفقد جدواه إذ لم يتحول إلى واقع عملى ... حتى نربط الإيمان بالعمل ... والقول بالفعل ... والأمانى بالمبانى .

لذلك يجب أن توجد برامج تنفيذية من قبل المؤسسات الوقفية بالقيام بالإفصاح عن دورها فى خدمة نظام الوقف وإبراز الأعمال التى قامت بها فى المجتمع ويكون لها سياسات استراتيجية وخطط موضوعة وبرامج أداء .

ومن ناحية أخرى يجب وجود برامج إعلامية تنفيذية تبصر الأغنياء من المسلمين بالخيرات التى تعود على الفقراء والمساكين والمجتمع والأمة الإسلامية من وراء إحياء نظام الوقف من جديد ، وكذلك بالثواب الذى يعود عليهم فى الآخرة .

ويقوم ولى الأمر الحاكم العادل الصالح التقى بإصدار القوانين وإيجاد الأجهزة التنفيذية التى يعمل فيها ذو القيم الإيمانية والأخلاقية وأصحاب الخبرات والمهارات لإدارة شئون الوقف وفقاً لمنهجى الأصالة والمعاصرة وتبرز دور الوقف فى إيجاد المجتمع المتكامل الذى يقوم على الحب فى الله والاخوة فى الله ، حينئذ يسعد الفقراء والأغنياء وتتحقق العزة للجميع ونقدم للعالم النموذج الإسلامى الحضارى فى مجال التكافل الاجتماعى ، وهذا ليس على الله ببعيد .

ولن يتحقق هذا البرنامج إلا من خلال العودة إلى شرع الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله عز وجل : **” فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ”** (طه : ١٢٣ - ١٢٤) وصدق رسول الله (صلى) القائل : **” تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وسنتي ”** (البخارى)

دكتور حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

للاتصال بالكاتب :

٢٨٧٢٨١٩ - ٠٢/٢٦٣٢٦٣٣ - فاكس - ٠١٠/١٥٠٤٢٥٥/٤٠٤١١٧١

Shehata_hhh@islamonline.net

drhuhush@hotmail.com